سلسلة الرسائل (١)

كتاب
الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم[١]

تأليف

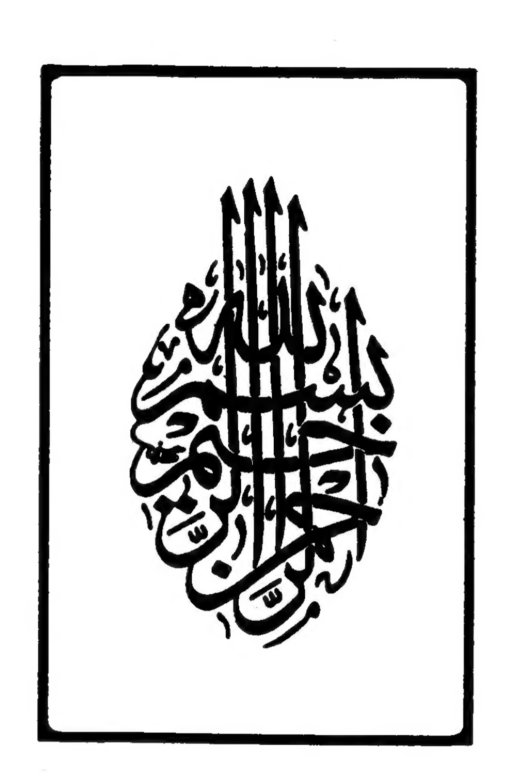
شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قُدامة المقدسي

المتوفى سنة ٦٢٠ هـ

حققه وعلّق عليه

د. عبد الله بن صالح البراك

(١) الوصف للقرآن ويُراد بالقدم أنه غير حادث، لأن الكلام صفة لازمة لله، فهو سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، بكلام يقوم به، وهو غير مخلوق.


بسم الله الرحمن الرحيم



ترجمة مختصرة للمؤلف

اسمه ونسبه :

هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقْدسي الجمَّاعِيلي الدِّمشقي ، الصَّالحي، ولد سنة ٥٤١ .

شيوخه :

كان رحمه الله من بيت علمٍ وصلاح ، أقبل على العلم مبكرًا ، وكان كثير الشيوخ ، رحل إلى بغداد مع ابن خاله الحافظ عبد الغني إلى بغداد سنة (٥٦١) ، ومن أهم شيوخه باختصار :

١ ـ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجِيلي الحنبلي (م سنة ٥٦١).

٢ ـ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الطوسي (م سنة ٥٦٣) .

٣ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي البغدادي (م سنة ٥٦٤).

٤ ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن النّقور (م سنة ٥٦٥) . وغيرهم.

الثناء عليه :

قال ابن النجار : « كان إمام الحنابلة بجامع دمشق ، وكان ثقة حجة نبيلاً، غزير الفضل. . . ».

وقال ابن نُقطة: « كان إمامًا ثقة ، فاضلاً صالحًا » .

وقال الضياء : « كان ـ رحمه الله ـ إمامًا في التفسير ، وفي الحديث ومشكلاته ، إمامًا في الفقه ، بل أوحد زمانه فيه . . . ».

وقال ابن الدُبيثي : كان إمامًا حبرًا مفتيًا مصنفًا ذا فنون . . . ».

كما وُصِفَ رحمه الله بالصفات الجميلة والأخلاق الحسنة كما تراه في تراجم الأئمة له في مصنفاتهم.

* انظر : مختصر ابن الدبيثي ١٥/ ٢١٢، التقييد ٢/ ٧٨، السير ٢٢/ ١٦٥، تاريخ الإسلام ص٤٣٤ ، وفيات (٦٢٠هـ) ، ذيل الطبقات ٢/ ١٣٣ ، وغيرها من المصادر.

تلاميذه :

تخرج على يديه علماء أجلاء منهم :

١ ـ الفقيه بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي (م سنة ٦٢٤)، شارح : «المقنع» ، و«العمدة» تصانيف الموفق.

٢ ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الجماعيلي المعروف بـ «الضياء» (م سنة ٦٤٣) .

٣ ـ الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني الشهير بابن نقطة (م سنة ٦٢٩) ، وغيرهم، من مثل : ابن خليل، والبِرْزالي ، والمُنْذري وابن النجار . رحمهم الله تعالى .

تصانيفه :

رُزق الإمام الموفق حُسن التصانيف ، وألف في جملةٍ كبيرة من

العلوم وبخاصة في فقه الإمام أحمد رحمه الله، كما ألف في العقيدة، مصنفات جمّة ، فمن تصانيفه ـ باختصار ـ :

أ ـ في الفقه وأصوله:

١ ـ المغني، شرحٌ على مختصر الخرقي ، قال ابن الدبيثي: ولم يصنف في الإسلام أحسن منه ، وهو مطبوع .

٢ ـ الكافي، في الفقه، كتاب متوسط ، وهو مطبوع .

٣ ـ المقنع ، مختصر في الفقه ، وهو مطبوع .

٤ ـ روضة الناظر ،في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد ، مطبوع .

ب ـ في أصول الدين :

١ ـ إثبات صفة العلو لله تعالى ، وهو كتاب جليل غزير الفائدة، مطبوع.

٢ ـ لمعة الاعتقاد .مطبوع.

٣ ـ ذم التأويل ، مطبوع .

٤ ـ مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام ، مطبوع .

٥ ـ البرهان في مسألة القرآن،ردٌ على الأشاعرة في قولهم في القرآن، مطبوع .

٦ ـ مناظرة بين الإمام الموفق وبعض الأشعريين في القرآن ، وردَّ عليه بالمنقول والمعقول ، وهي مطبوعة .

٧ ـ الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم ، وهو أيضًا في موضوع الكتابين السابقين ، وسيأتي ذكر موضوعاته .

جـ ـ في بقية العلوم :

١ ـ فضائل الصحابة .

٢ ـ التبيين في أنساب القرشيين .

٣ ـ الاستبصار في نسب الأنصار .

٤ ـ كتاب التوابين .

٥ ـ كتاب الرقة والبكاء .

وغيرها كثير. انظر : مقدمة إثبات صفة العلو للشيخ بدر البدر ص٢٣ .

* * *

التعريف بالكتاب

١ ـ سبب تأليفه :

ذكر المؤلف أن سبب تأليفه للكتاب وقوفه على مُؤلَّف ـ والظاهر أنه أشعري ـ يثبت أن الحروف من الكتاب والسنة مخلوقة ، ويدلل على أقواله بالآيات والأحاديث ـ كما فصله المؤلف في الكتاب ـ فتناول الموفق الكتاب ، وبسط الرد عليه بأسلوب علمي رصين .

٢ ـ موضوعات الكتاب :

ناقش الموفق المسألة من أصولها، وهي الرد على آراء الأشاعرة في القرآن ، وفي كلام الله تعالى كما هو مبسوط في كتبهم ، فكانت ردوده على المؤلِّف ـ وهو لم يُسمه في الكتاب ـ وعلى أشياخه القدماء .

وأما المسائل التي ناقشها ابن قدامة ، فتنحصر في الآتي:

ـ القول بخَلْق الحروف والرد عليه من وجوه .

ـ القول بأن هذه الألفاظ ما هي المعنى إنما هي عبارة مؤدية له! والرد عليه.

ـ الرد على استدلالهم ببيت الشاعر النصراني : الأخطل.

ـ الرد على قولهم: يجب أن لا يكون حروفًا لئلا يُشبه كلام

الآدميين .

ـ الرد على إنكارهم كونه صوتًا .

٣ ـ النُسخ الخطية للكتاب :

للكتاب نسختان خطيتان :

الأولى : نُسخةٌ مصورة عن المكتبة الظاهرية ضمن مجموع ، وتقع في اثنتي عشرة لوحة على وجهين .

ـ عليها سماعات كثيرة في تواريخ مختلفة ، سيأتي ذكرها ، والنسخة مصححة ومقابلة .

ورمزها : ظ .

الثانية : نسخة مصورة عن المكتبة العربية بالقدس صوّرتها مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، وتقع ضمن مجموع رقم (١٩٥) .

عدد أوراقها : سبع عشرة ورقة على وجهين ، والنسخة مصححة ومقروءة على المؤلف .

ورمزها : ق .

٤ ـ توثيق نسبته للمؤلف :

لا شك ولا ريب في نسبة الكتاب إلى مؤلفه الحافظ ابن قدامة ، وهذا حاصل من وجوه منها :

ـ ما جاء على النسخ الخطية الموثقة من نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، وقراءة العلماء له وسماعهم للكتاب .

ـ ذكر الكتاب الروداني في صلة الخلف ، قال : الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم ، للموفق عبد الله بن أحمد المقدسي.

إلى العز بن جماعة عن سليمان بن حمزة عن إبراهيم بن علي الواسطي عنه به ص٢٨٥.

وابن طولون في كتابه ـ متعة الأذهان ـ كما في النعت الأكمل ص٧٩ والسحب الوابلة (١/ ١٧١).

قال في ترجمة أحمد بن عبد الله العسكري (م سنة ٩١٠): «. . .وكثيراً ما كان يُحرّضنا على مطالعة «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» للموفق ابن قدامة».

ـ تطابق منهج الكتاب وطريقة عرضه مع كتبه الأخرى ،مثل: البرهان، والمناظرة.

٥ ـ سماعات الكتاب :

أ ـ سماعات نسخة الظاهرية:

ـ سماع العالم الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي (المولود سنة ٦٠٢ ،والمتوفى سنة٦٩٢). من مؤلفه سنة (٦٠٨) وهو أحد تلاميذ ابن قدامة.

انظر: ذيل الطبقات (٢/ ٣٣١)، ومعجم الذهبي (١/ ١٤٣ـ١٤٤).

ـ وسماع يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة خمس وخمسين وستمائة.

ـ وسماع يوم السبت لتسع بقين من رجب سنة خمس وخمسين

وستمائة ، وغيرها .

وغالب السمــاعات لأئمة الحنابلة من أهل الصالحيــة كما تراه في صورة المخطوط .

ب ـ سماع وقراءة نسخة القدس :

سُمع الكتاب على الإمــام العالم أبي عبد الله محــمد بن إبراهيم ابن عبد الواحد المقدسي (م سنة ٦٧٦) بروايته عن مؤلفه ابن قدامة .

وكاتب النســخة عبد الله بن عــبد الرحمن بن أحمــد المقدسي ، سنة أربع وسبعين وستمائة .

٦ ـ عملي في الكتاب :

ـ قابلت بين النُسختين الخطيتين ، وقد اتفقتا في الضبط إلا نادرًا .

ـ عزوتُ الآيات إلى مــواضعها من السور، وخــرجت الأحاديث والآثار ـ باختصار ـ .

ـ وثقتُ النقول التي يذكرها المؤلف عن مذهب الأشاعرة مع عدم الإطالة .

* * *

السر ... المسمى ...
الوقف اللام

١٨٦

وقف ... السيخ موفق الدين ...

وارضاه

[illegible]

٦٥٥

وقرأت على الشيخ الامام العالم العامل جامع الفضائل ...
ابي نجيح ... علي بن احمد الواسطي ... جميع هذا الجزء ... سماعه من
... الشيخ الامام موفق الدين رحمه الله فسمعه السادة الفضلاء ... عبد الرحمن
... صالح ... احمد بن ابي ... الزراد وولده محمد واسمعيل
ابن ... سالم الخباز وداود ... عيسى بن ابي بكر ... والو ... يحيى
ابي بكر البغدادي وعيسى بن ... واسمعيل ... ابي محمد ...
وداود بن مسلم بن ... وذلك يوم السبت ... من ...
... بالجامع المظفري ... دمشق وكتب محمد بن محمود بن علوان بن محمود ... حامدا ومصليا

... حمدنا الحروف ... من الالف واللام لم يكن لها ...
... مثلا القول ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
حروفا وكذلك اصحابه وسائر الناس ... يسمونها
حروفا ... الحروف المقطعة في اوائل السور
وقد روي عن الشعبي انه قال ... سرا ...
في القرآن الحروف المقطعة في اوائل السور ...
هذا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ...
... الله تعالى ... العباد ...
... ان الرحمن ...
ثم ان هذا القول ... حروفا ... اسماء ... حروف
... الالف ... حرف ... واللام ...
... فيكون ذلك ... احرف ... قال ...
... احرف ... احرف والخلاف في ...
لا في عددها ... انها حروف ...
ولا ... النزاع ... الاتفاق على المقصود ...
... على صراط المستقيم ... سيد المرسلين
وسلوك منهج السلف الصالحين ...

[illegible]

... علي بن محمود ... عبد الرحمن بن ...
... الواسطي ...
...
...
رسالة بالقراءة والتاريخ ...

قرأت ... هذا الجزء على الشيخ الامام العالم ... عبد الرحمن ...
... عبد الله ... داود ...
...
...
...
...
...
...
...
...
...

١٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشيخ الإمام العالم العامل موفق الدين شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه

الحمد لله الذي هدانا للصواب ومنّ علينا بإنزال الكتاب ورزقنا اتباع رسوله والإيمان بتنزيله والاقتداء بالسلف الصالحين والأئمة التابعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الأئمة المرضيين رحمة الله عليهم أجمعين أما بعد فإني وقفت على مقصة من سقطات أهل الجهالة وهفوة من هفوات الضلالة يذكر فيها أنه يبين خلو الحروف من الكتاب والسنة ويرشد من وقف إلى طريق [illegible] فأحببت أن أجيبه لظهور فساد قوله واستبعاد ما لا يخفى من جهله حتى [illegible] جوابه وبيان خطأ قوله من صوابه فأقول وبالله التوفيق بدأ فقال الدليل من الكتاب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وهذه الحروف من عملنا فتكون داخلة في عموم الآية والجواب من وجهين أحدهما أن هذا إقرار منه بقدم الحروف وأنها ليست من عملنا [illegible] لأنه قال قال الله تعالى والله خلقكم

إنما هي تسعة أحرف والخلاف في كونها حروفا إلا في عددها وقد ثبت أنها حروف فلا يضر الخلاف في عددها تم

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

غفر الله لكاتبه ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولمحمد وآله

سمع جميع هذا الكتاب على سيدنا الشيخ الإمام العالم الأوحد [illegible]
أبي عبد الله محمد [illegible] شيخ الإسلام أبي إسحاق إبراهيم [illegible] المقدسي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عبد الله بن عبد الرحمن [illegible] محمد [illegible]

سنة [illegible] وتسعين وخمسمائة والحمد لله وحده

صحح ذلك كتبه إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

قال الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ موفق الدين ، شيخ الإسلام أبومحمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه:

الحمد لله الذي هدانا للصواب ،ومَنَّ علينا بإنزال الكتاب ، ورزقنا اتباع رسوله ، والإيمان بتنزيله ، والاهتداء بالسلف الصالحين ، والأئمة السابقين ، من الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم من الأئمة المرْضيين ، رحمةُ الله عليهم أجمعين .

أما بعد : فإني[1] وقفتُ على سَقْطةٍ من سَقَطات أهل الجهالة، وهفوةٍ من هفوات الضلالة ، ذكر فيها أنه يُبين خَلْق الحروف من الكتاب والسنة[2]، ويُرشد من وقَفَ عليها إلى طريق الجنة ، فهممتُ أن لا أُجيبه لظهور فسادِ قوله والاستغناء بما لا يخفى من جهله ، حتى سُئلت ردَّ جوابه وبيانَ خطأ قولهِ من صوابه ، فأقول وبالله

(١) في (ظ): فإنني.

(٢) أنكر الإمام أحمد رحمه الله على مَنْ قال : إن الحروف مخلوقة؛ لأنه إذا كان جنس الحروف مخلوقًا لزم أن يكون القرآن العربي ، والتوراة العبرية ، وغير ذلك مخلوقًا ، وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة، مخالف للأدلة العقلية والسمعية، كما سيبسطه المؤلف .

انظر: الفتاوى (١٢/ ٨٥)، ومختصر الصواعق ص٤٣٥، وكتاب المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٢٦٠) .

التوفيق:

بدأ فقال : الدليلُ من الكتاب قول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات:٩٦]، وهذه الحروف من عملِنا فتكونُ داخلةً في عموم الآية .

والجواب من وجوه :

* **أحدها**: أن هذا إقرار منه بقدم الحروف، وأنها ليست من عمله ولا قوله؛ لأنه قال : قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ ، فأقرَّ بأن هذه الآية من قول الله وكلامه ، وقول الله وكلامه قديمٌ ليس من عمل مخلوق، ولا قوله ، وهذه الآية أربع كلمات وتسعة عشر حرفًا بلا خلاف ، فإقراره بأنها قول الله إقرار بأن الحروف قول الله وكلامه، وهذا إقرار منه ببطلان دعواه وتناقض كلامه وفساد مذهبه.

وإن أنكر كونها حروفًا ، فهذا مكابرة للعيان، ونوع من السفسطة والهذيان ، ومخالفة للخلق ، وإنكار للحق .

وإن قال: ما هي قول الله تعالى، وإنما نسبتها إلى قول الله مجازًا. قلنا: هذا فاسد لوجوه :

أحدها: أنه رجوع عن إقراره ، فلا يسمع ، فإن الأصل في الكلام الحقيقة ، ولا يقبل الجحد بعد الاعتراف، ولا الإنكار بعد الإقرار .

الثاني: أن هذا خلاف الإجماع، فإن المسلمين كلهم يقولون إذا

تلوا آية: قال الله كـذا ، فمن أنكر صحـة هذا القول خالف إجـماع المسلمين، فيكون قوله باطلاً .

الثالث: أن هذا إذا لم يكن قول الله فما اسـتدلَّ بشيء من كتاب الله، وقد ذكر أنه يستدل بالكتـاب ، فإذا أنكر كونه من الكتاب، كان مكذبًا لنفسه مقرًا ببطلان قوله .

الرابع: أنه إذا لم يكن هذا قـول الله، فكيف يحتجُّ به؟ والحـجة إنما هو قول الله أو قـول رسوله أو الإجمـاع،وليس هذا عنده بواحد منها؟!

الخامس: أنه إذا لم يكن هـذا قـول الله فـأين كـتـاب الله؟ وأين القرآن المجـيد؟ وبم يُصلي المسلمون؟ وبأي شيء يخطب الخـاطبون؟ وبم تثبتُ الأحكام؟ وأين مُعجزة النبي عليه السلام؟ وإلى أين نصرف الوقـوف الموقوفـة على قُراء القـرآن؟ وأين القـرآن الذي يُمنع الجنب والحائض من قراءته ،ويمنع المحدث من مـسّه، ويمنع من السفر به إلى أرض العـدو؟ وأين القرآن الذي أنزل علـى محـمد سـيّد المرسلين ، وتحدى الخلق بإتيان مثله[1] فعجزوا؟ وأين القرآن الذي زعم الكفار أنه شعـر، وأنه أساطيـر الأولين، وأن النبي ﷺ افتراه ، وأنه إنمـا يعلمه بشر؟ وأين القرآن المبين والكتاب العـزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؟!

---

(١) في (ظ): بالإتيان بمثله .

السادس: أن هذا إذا لم يكن قول الله تعالى،فقول من هو ؛ فإن كل قولٍ لابد له من قائل؟! ، فإن قال : هذا قولي وعملي كما زعم أن الحروف عمله ، فهذا باطل من وجوه :

❑ **أحدها** : أنه إذا كان من قوله كان قول البشر، فيكون هذا القول كقول الوليد بن المغيرة حين قال : ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾ [المدثر:٢٥]، فقال الله تعالى ردًا عليه : ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**﴾ [المدثر: ٢٦]، فليبشر هذا بصلي سقر التي لا تبقي ولا تذر، مع مرافقة الوليد ومُقارنة الوحيد ، بل هذا أدبر من الوليد؛ لأن الوليد زعم أنه من قول النبي ﷺ[1]، وهذا يزعم أنه من قول نفسه .

❑ **الثاني** : أنه إن كان هذا يصير قوله بتلاوته إياه لم يبق لله قول ولا كتاب ، ولا لنبيه عليه السلام خبر ، وينبغي أن تبطل الحجج والاستدلالات، وتذهب البراهين وتنقطع المناظرات ، وهذا قول قبيح جدًا .

❑ **الثالث**: أن هذا خرق لإجماع المسلمين ومخالفة الخلق أجمعين، فإنه لا خلاف بين المسلمين أن القرآن ما هو قول تاليه، ولو ادَّعى ذلك مدعٍ ظاهرًا من المسلمين لقتلوه ، وإن أنكر هذا القائل هذا فليظهره للمسلمين ، ويدَّع أن هذا القرآن قوله وتصنيفه ونظمه وتأليفه، وأنه الذي عمل كلماته وحروفه ، ولينظر ما يحل به .

---

(١) في ظ: عليه السلام .

□ **الرابع**: أنه إن كان هذا قوله لم يخل إما أن يكون مثل القرآن أو هو[1] بعينه:

فإن كان مثله فقد كذَّب الله تعالى في قوله: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقوله: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: ٣٤]، وقوله: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ**﴾ [يونس: ٣٨]، ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [هود: ١٣]، ومن ردَّ على الله وكتبه فقد كفر بإجماع المسلمين.

وإن كان هو القرآن بعينه، فكيف يمكن أن يكون هو قال القرآن الذي هو قول الله تعالى؟! ، فهذا تناقض!

فإن قال: ما هذا قرآنًا ولا مثله، فإن القرآن المعنى، وهذه الألفاظ المنتظمة للحروف ما هي المعنى ولا مثله، إنما هي عبارة عنه مؤدية له، وهي من عملنا وهي مخلوقة، والقرآن القديم هو معنًى في نفس الباري لا يظهر للحس، ولا يوصف بأنه صوت ولا حرف.

قلنا: هذا معتمد إشكالهم، وهو فاسد لوجوه[2]:

ـ **أحدها**: أن التحدي إنما وقع بهذا النظم، فإن قوله تعالى: ﴿**أَمْ**

---

(١) في (ظ) زيادة: هو.

(٢) نُقِلَ هذا عن أبي الحسن الأشعري كما نسبه إليه أعلام الأشاعرة.
انظر: الإرشاد للجويني ص١٠٥، ونهاية الإقدام للشهرستاني ٣٠٤، ٣١٣، ٣٢٠، الرد على من أنكر الحرف للسجزي ص٨٥، ودرء التعارض ٢/٣١٦ وقارنه باللمع ص٢٢، طبعة مكارثي ـ فهو يبني عقيدته في كلام الله على مسألة حلول الحوادث.

يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]، إنما عنى به هذا النظم الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات؛ فإن قريشًا لم تزعم أن النبي ﷺ يقول ما في نفس الباري، ولا اعترفوا بذلك أصلاً ، وإنما أشاروا إلى هذا النظم الذي سمعوه من النبي ﷺ وتلاه عليهم، ثم قال : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ** ﴾ أي مثل هذا الحديث الذي زعمتم أنه تقوَّله ، وهو هذا لا شك فيه ولا مرية.

وكذلك قوله: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ** ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وهذا إشارة إلى حاضر.

وقوله: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** ﴾ [يونس: ٣٨]، صريح في أنه سور.

ولأن التحدي إنما يكون بالإتيان بمثل شيء ظاهر معروف، ولا يجوز أن يقول : فأتوا بمثل ما في نفس الباري، مما لا يدرون ما هو ولا يعرفونه.

وإذا ثبت أن التحدي إنما وقع بهذا لم يخل أن يكون ما ادعى أنه عمله ، وقاله بتلاوته هو هذا أو مثله وأيًا ما كان فهو كفر ودوران بين ضلالتين لابد له من إحداهما[١].

ـ **الثاني**: أن القرآن هو هذا الكتاب العربي المنزل على رسول الله ﷺ، الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات ، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة[٢].

---

(١) انظر كتابه: « البرهان » ص ٦٥.

(٢) انظر كتابه: « البرهان » ص ٢٧ وما بعدها **وكتاب تحريم النظر له ص ٦٦**

أما الكتاب ، فمن وجوه :

أحدها : أن الله تعالى تحدى الخلق بالإتيـان بمثله ، والتحدي إنما تعلق بهذا الكتاب دون غيره .

الثاني: أن الله تعالى وصـفه بأنه عربي، فـقال: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [يوسف: ٢]، ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [الزخرف: ٣]، وقال: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾ [الزمر: ٢٨]، وهذه الصـفة إنما تتعلق بالنظم دون المعنى.

وكذلك سـمّاه الله حديثًا بقـوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾. [الزمر: ٢٣]

وقصصًا بقوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[يوسف: ٣].

وسماه قولاً ثقيلاً بقوله: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ [المزمل: ٥]، ولا يوصف بهذه الصفات سوى هذا .

الثالث: أن الله تعالى أمر بترتيله، فقال : ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٤]، وقال :﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾ [الفرقان:٣٢]، وأخبر بتنزيله، فقال : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً**﴾ [الإنسان: ٢٣].

ونهى نبيه عليه السلام عن العجلة به بقوله:﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ [القيـامة: ١٦]، وقال :﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**﴾ [الإسراء: ١٠٦].

والتنزيل والترتيل والعجلة وتحريك اللسان إنما يتعلق بالنظم دون ما في النفس.

الرابع: أن الله تعالى أشار إليه إشارة الحاضر بقوله: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾ [يوسف: ٣]، والحاضر عندنا هو هذا النظم العربي.

الخامس: أن الكفار زعموا أنه شعر، فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾ [يس: ٦٩].

وزعموا أنه مُفترى، فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [يونس: ٣٧].

وزعموا أنه أساطير الأولين، فقال تعالى: ﴿**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الفرقان: ٦].

وزعموا أنه إنما يعلمه بشر، فقال الله تعالى: ﴿**لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [النحل: ١٠٢].

ونهى بعضهم بعضًا عن سماعه، فقال: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**﴾ [فصلت: ٢٦]، ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٣١].

وهذا كله لا تعلق له بما في نفس الباري، ولا يتعلق إلا بهذا

النظم، فإن الشعر إنما هو كلام موزون، وكان الكفار من أعلم الناس به ، فما يتـخيل عاقل أنهم زعموا أن في نفس البـاري شعراً ولا أن معنى الكلام شعر .

السادس: أن بعض الكفار زعم أنه يقدر على أن يقـول مثله، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [الأنفال: ٣١].

وطلب بعضهم تبديله، فقال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ [يونس: ١٥]، ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ [الفرقان: ٣٢]، ومن المعلوم اليقيني أنهم لم يريدوا بهذا سوى هذا النظم .

السابع: أن الله تعالى أمـر بالاستمـاع له وقراءته ، وأخـبر عن سماعه وتلاوته، وذكر له بعضًا وجزءًا، وأخبر أنه في اللوح المحفوظ والكتاب المكنون والرَّق المنشور ، فقـال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا** ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقال: ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿ **يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ** ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿ **وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ** ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيـــدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾ [البـروج: ٢١، ٢٢]، ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨]، وقال: ﴿ **وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ** ﴾ [الطور: ٢، ٣]، ومنع غـير المتطهرين من مسه بقوله: ﴿ **لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ [الواقعة: ٧٩]،

وهذا لا يتعلق إلا بهذا النظم.

الثامن : أن الله تعالى أخبر أنه سور وآيات وكلمات وحروف .

أما السور: فقوله تعالى: ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** ﴾ [يونس: ٣٨]، ﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ** ﴾ [هود : ١٣] ، وقوله : ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا** ﴾ [النور: ١]، وقوله: ﴿ **فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ** ﴾ [محمد: ٢٠].

وأما الآيات، فقوله: ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ** ﴾ [النمل: ١]، وقوله : ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، وقوله: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ . . .** ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٩]، وقوله: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا** ﴾ [يونس: ١٥].

وأما الكلمات : فقوله: ﴿ **الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي** ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وأما الحروف: فقوله سبحانه : ﴿ **الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [البقرة: ١، ٢]، ﴿ **المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ** ﴾ [الأعراف: ١، ٢]، ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾ [يونس: ١]، ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ** ﴾ [هود: ١]، ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف: ١، ٢]. فأخبر أن

هذه الحروف هي آيات الكتاب .

وإذا كانت السور والآيات والحروف والكلمات هي القرآن ، فهذا محل النزاع[1] .

وأما السنة: فما روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله تعالى ، هو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمةٌ لمن تمسّك به ، ونجاةٌ لمن تبعه ، لا يعوجّ فيقوَّم ، ولا يزيغُ فيُستَعْتَب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلق عن كثرة الرد فاتلوه ، فإنّ الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، ولكن في الألف عشر ، وفي اللام عشر ، وفي الميم عشر**»[2] .

وفي رواية عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول : ﴿ آلم ﴾ حرف ، ولكن الألف حرف وفي اللام حرف والميم حرف** » .

---

(١) انظرللأوجه السابقة كتابه : « المناظرة » ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤) ، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ٤٣) ح٧، وأبو عبيد في فضائل القرآن ح٧ ـ١ ص٢١، والآجري في آداب حملة القرآن ص٢٥، وابن الضريس ح٥٨ ص٩١، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٥)، وابن منده في كتابه ح٧، ٨، وابن الجوزي في العلل (١/ ١٠١ ـ ١٠١) من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعاً ، وفي سنده إبراهيم الهجري : ضعيف .

انظر تعليق عبد الله الجديع على الحديث في كتاب ابن قدامة « المناظرة» ص٢٨ . ورجَّح أنه موقوف على ابن مسعود ، ود. سعد الحميد في تحقيقه سنن سعيد بن منصور .

وفي رواية: « **من قرأ حرفًا من كتاب الله كتب الله له عشر حسنات ، أمـا إني لا أقـول : ﴿ آلم ﴾ حـرف ، ولكن ألف ولام ومـيم ثلاثون حسنة** »[1] .

وروى نحوه فضالة بن عبيد [2] وأنس بن مالك [3] ، وروي عن النبي ﷺ أنه قـال: « **من قـرأ القـرآن فـأعـربه فله بكل حـرف عـشـر حسنات ، ومن قرأه ولحن فيـه فله بكل حرف حسنة** »[4] ، وقال النبي ﷺ: « **نزل القرآن على سبعة أحرف** »[5] .

وقال في صـفة قوم : « **أنهم يقرؤون القرآن يقيمون حروفه إقامة السَّهْم** » ، وفي رواية : « **يقيمونه إقامة القِدح** »[6] .

وسمى النبي ﷺ السور والآيات من القرآن ، فقال للذي أراد أن يزوجه : « **ما معك من القرآن** » فقال : معي سـورة كذا وسورة كذا،

---

(١) انظرطرقه في الذيل على كتاب ابن منده « الرد على من يقول : [آلم] حرف » ص ٨٥.

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه ابن منده في كتابه ح ٢٧ ، وفي سنده رجل مبهم .

(٤) قال في كتابه « المناظرة » ص٣٧ ، و«لمعة الاعتقاد» ص١٨ : حديث صحيح.

(٥) حديث صحيح متواتر ، انظر البخاري (٩/ ٢٣)، ومسلم (١/ ٥٦١)، وأحمد (٥/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، وأبو داود (٢/ ١٦٠)، والنسائي (٢/ ١٥١).
وانظر للتوسع : سنن سعيد بن منصور (١/ ١٥٩) مع الهامش ، وفضائل القرآن لابن كثيرص١٦ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٣٨) ، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة (١/ ٥٢٠) ح٨٣٠ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٩ ـ٣) ص١٠٦ ، والفريابي في فضائل

فقال : « **زوجتكها على ما معك من القرآن** »[1] .

وقال : « **لكل شيء قلب ، وقلب القرآن ﴿ يس ﴾** »[2] .

وقال : « **سورة من القرآن تجادل عن صاحبها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾** [الملك : ١] »[3] .

وقال لأبيّ : « **أيُّ آية في القرآن أعظم ؟** » ، قال : آية الكرسي ، قال : « **ليهنك العلم أبا المنذر** »[4] .

وقال في سورة الفاتحة : « **هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي**

= القرآن ح١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ص٢٤٤ ، وانظر للزيادة سنن سعيد بن منصور (١/ ١٥٠ ، ٢٤٩): عن أنس ، وسهل بن سعد ، وجابر ، وأسانيده بالمتابعات لا بأس بها ، دون ذكر الحروف .

(١) أخرجه البخاري كتاب النكاح (٩/ ٢٠٥) ح٥١٤٩ ، ومسلم (٢/ ١٠٤١) ، وغيرهم .

(٢) روي عن عدة من الصحابة ـ وكلها طرق ضعيفة :

ـ أبي بن كعب : عند القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٣١) ح١٠٣٦ ، وابن مردويه ـ كما في تخريج الكشاف للزيلعي .

ـ وعن أنس : عند الترمذي في كتاب فضائل القرآن (٥/ ١٦٢) ح ٢٨٨٧ ، والدارمي في سننه (٢/ ٣٢٨) ح ٣٤١٩ ، والقضاعي (٢/ ١٣٠) ح١٠٣٥ ، ضعفه الترمذي ، والذهبي في الميزان ٤/ ٢٨٨ .

ـ وعن أبي هريرة عند البزار ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف ـ(٣/ ١٧٠) .

ـ عن أبي بكر الصديق، ضعفه الترمذي في سننه ، وهو عند الخطيب وابن الجوزي .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٦) ح٢٥٨ ، وأحمد في=

أعطيته»[1] .

وأخبر أن للقرآن أحزابًا، فقال : « **إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أُتمه** »[2] .

وقال [أوس][3] الثقفي: سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف يحزبون القرآن ؟ قالوا : **ثلث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل** .

يعني أنهم يجعلون سورة البقرة وآل عمران والنساء حزبًا ، ومن المائدة إلى آخر سورة التوبة حزبًا، ومن يونس إلى آخر النحل حزبًا، ومن بني إسرائيل إلى آخر تبارك الفرقان حزبًا ، وقال : « **من استمع آية من كتاب الله كان له من الأجر كذا وكذا** »، وقال: « **من قرأ من القرآن**

= مسنده (٥/ ١٤١ ـ ١٤٢) ، وأبو داود في كتاب الصلاة (٢/ ١٥١) ح١٤٦٠ وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع (٨/ ١٥٦، ٣٠٧)، وأحمد (٣/ ٤٥٠)، (٤/ ٢١١)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وغيرهم كثير . انظر : موسوعة فضائل سور القرآن ص٣٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة (٢/ ١١٤) ح ١٣٩٣، وأحمد في مسنده (٤/ ٩، ٣٤٣)، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة (١/ ٤٢٧) ح ١٣٤٥ ، والطيالسي في مسنده ح١١٠٨ ص١٥١ ، والبخاري في التاريخ (٢/ ١٦)، والطبراني في المعجم (١/ ٢٢٠).

قال ابن معين : وحديثه عن النبي ﷺ حديث ليس بالقائم في تحزيب القرآن ، أسد الغابة (١/ ١٦٨) .

(٣) أُويس هكذا في الأصل ، والصواب : أوس ، وقد اختلف في اسمه ، فقيل : أوس بن حذيفة ، أو أوس بن أوس . انظر تاريخ البخاري (٢/ ١٦)، والتهذيب (١/ ٣٨١)، والإصابة (١/ ٩٢) كلاهما لابن حجر .

في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائتي آية . . .الخبر بطوله»[1] .

وقال : « **بئس ما لأحدكم أن يقول : نسيت آية كذا ، بل هو نُسي ، فاستذكروا القرآن ، فلهو أشدُّ تفصيًا من صدور الرجال من النعم من عقلها** »[2] .

وقال : « **أيُغلب أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟**» قالوا : ومن يطيق ذلك يا رسول الله ، قال : « **فإن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن** »[3] .

قال : «**ومن قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأ نصف القرآن ، ومن قرأ القرآن كله فقد أدرجت النبوة بين جنبيه ، إلا إنه لا يُوحى إليه** »[4] .

---

(١) روي بألفاظ عديدة . انظر : كتاب ابن شاهين فضائل الأعمال ح١٩٨ ص٢١٦ ، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٠٨ ، ٥٥٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٠١) .
انظر : لطرق الحديث هامش محقق سنن سعيد بن منصور ، د. سعد الحميّد (١/ ١١٧، ١٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٩/ ٨٥) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٤٤) ، وأحمد (١/ ٤٢٣ ، ٤٢٩) وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن (٩/ ٥٩) ح٥٠١٥ عن أبي سعيد ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٥٦) ح ٢٥٩ عن أبي الدرداء، وفي غيرهما من المصادر.

(٤) روي عن عدة من الصحابة ، وجميع طرقه ضعيفة جدًا . انظر فضائل القرآن للرازي مع تعليق المحقق ص٩٠ ـ٩١ .

وقال : « **إن قريشاً منعوني أن أُبلغ كلام ربي** »[1] .

وغير هذا من الأحاديث ما يدل يقينًا أن النبي ﷺ إنما أراد بالقرآن هذا الكتاب الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات .

ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ لو كان يعتقد أن القرآن معنى في نفس الباري ، وأن هذا الكتاب ليس بقرآن لوجب عليه أن يُبين ذلك لأمته ، وحرم عليه كتمانه، لأن الله تعالى قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال :﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ [الحجر: ٩٤] .

فكيف يحلُّ له أن يكتم بيان القرآن الذي هو معجزتهُ وشرفهُ وشرف أمته ، به تثبت الأحكام ، ويُعرف الحلال والحرام ، حتى تعتقد أمته أن القرآن غيَّره فيضلوا بذلك الاعتقاد ويصيروا حَشَوية مجسمة كما تعتقده خصومنا فينا مع أمر الله تعالى بالتبليغ ، وتوعده على تركه، ومع شفقته على أمته وحرصه عليهم.

فعلى هذا لا يكون النبي عليه السلام مبلغًا لرسالة ربه ولا ناصحا لأمته ، والنبي ﷺ يقول في خطبته في حجة الوداع :« **ألا هل**

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة (٥/ ١٠٣) ح٤٧٣٤ وعنه: ابن بطة في الإبانة ص١٣٤ ب ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٩٠) ، وعنه: الخلال في السنة ص١٧٩ ب، والدارمي في الرد على الجهمية (٢٨٤) ص١٣٥ ، وبقية أصحاب السنن وغيرهم كثير جدًا ، وإسناده صحيح .

بلغت؟» قالوا : نعم ، فرفع إصبعه إلى السماء ، وقال :« **اللهم اشهد»**[1] .

فعلى قول هذه الطائفة يكون النبي ﷺ كاذبًا في دعوى التبليغ، ومن شهد له بالتبليغ كاذبًا ، وهذا لا يقوله مسلم ولا يعتقدهُ .

ثم إن ساغَ له كتمان ذلك ، فكيف ساغ له أن يتلو عليهم الآيات الدالة على أن هذا هو القرآن، ويقول لهم من أخباره ما يدل عليه ، وهو ضلال في زعمهم ، فيكون النبي ﷺ هو الداعي إلى الضلال المغوي لهم عن الصراط المستقيم الهادي لهم إلى طريق الجحيم بما تلاه عليهم من الآيات، وأخبرهم به من البينات ؟! .

ولا يُسمع ممن يدعي الإسلام أقبحُ من هذا ، وهذا مقتضى قول من أنكر أن يكون هذا قرآنًا ،وزعم أن القرآن معنًى في نفس الباري، وهذا الذي معنا عبارات وحكايات مخلوقة ، ونحن عملنا حروفه ونظمنا ألفاظه، فثبت قطعًا ويقينًا غير مشكوك فيه أن النبي ﷺ ما كان يعتقد قرآنًا سوى[2] هذا القرآن الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات .

وأما الإجماع: فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أجمعوا على أن القرآن هو هذا ؛ فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : إعراب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الحج (٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢) ح١٢١٨ من حديث جابر.

(٢) في (ق): غير.

القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه [١] .

وقال زيد بن ثابت لما قتل أهل اليمامة: أرسل إلي أبو بكر ، فأتيته ، فإذا عنده عمر ، فقال لي : اجمع القرآن، فقلت : كيف تصنعان شيئًا لم يصنعه رسول الله ﷺ ؟ فقالا لي : هو والله خير، فلو كلفوني نقل جبل كان أسهل علي مما أمروني به ، قال : فتتبعته أجمعه من اللِّخاف والعسب وصدور الرجال . . . وذكر الحديث[٢] .

وقال علي رضي الله عنه : من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله[٣] . وسُئل عن الجنب يقرأ القرآن، قال : لا ولا حرفًا . ذكره الدارقطني في سننه[٤] .

وقال : تعلموا سورة البقرة ، فإن بكل حرف منها حسنة ، والحسنة عشر أمثالها ، ولا أقول : ﴿الٓمٓ﴾ حسنة ، ولكن الألف حسنة واللام حسنة [٥] .

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ح(٣ـ ٤ ـ٥٣) ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (٩/ ١٠ ـ ١١) ح٤٩٨٦ ، ومواضع أخرى . انظر: التحفة (٣/ ٢٢١) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن (٥/ ٢٨٣) ح ٣١٠٣ ، والنسائي في فضائل القرآن ح٢٠ ص٦٣ .

(٣) لم أقف عليه . وروي عن عبد الله انظر: المصنف (١٠/ ٥١٣ ـ ٥١٤) ، وابن جرير ١/ ١٨ .

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن (١/ ١١٨) ح٦ ، وأخرجه أحمد في مسنده مرفوعًا (١/ ١١٠).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه باب فضل من قرأ القرآن ٢/ ٣٠٨ ح٣٣١١، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٦١ ولفظه : «تعلموا القرآن»، وتقدم تخريج قول ابن مسعود الموقوف.

وقال عبد الله بن مسعود : «أنتم اليوم في زمن كثيرٌ فقهاؤه ، قليل قراؤه، يحفظون حدود القرآن ويضيعون حروفه ، وسيأتي زمن قليل فقهاؤه، كثير قراؤه ، يحفظون حروف القرآن ، ويضيعون حدوده»، رواه الإمام مالك بن أنس في الموطأ[1] .

وقال ابن مسعود :« إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم واتلوه فإن الله يأجركم بكل حرف منه عشر حسنات، لم أقل لكم: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[2].

وروي عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفًا حرفًا[3] .

وقال عبد الله بن عمر : « إذا خرج أحدكم إلى أهله ثم رجع إلى بيته فليأت المصحف فيفتحه فيقرأ سورة ، فإن الله يكتب له بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول : ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن الألف عشر واللام عشر والميم عشر »[4] .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة (١/ ١٧٣) ح٨٨ .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب فضل من قرأ القرآن ٢/ ٣٠٨ ح ٣٣١١ ، وتقدم ص٢٣.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن (٥/ ١٨٢) ح٢٩٢٣ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ح (٢ ـ ١٧) ص٧٤ ، والنسائي في فضائل القرآن ح٨٢ ص٩٧ ، وغيرهم، وسنده صحيح .

(٤) أخرجه ابن منده في كتابه ح٢٢ ص٦٣ ، وفي سنده ضعيفٌ جدًا ، وروي عن ابن عباس ، أخرجه ابن المبارك في الزهد ح٨٠٧ بسند جيد .

وروي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قرأ حرفًا من القرآن كتب الله له عشر حسنات الباء والتاء والواو** »[1] .

وقال فضالة بن عبيد: خذ هذا المصحف وامسك علي ، ولا تردنَّ علي ألفًا ولا واوًا ، فإنه سيكون قوم يقرؤون القرآن لا يُسقطون منه ألفًا ولا واوًا. ثم رفع فضالة يده فقال : اللهم لا تجعلني فيهم. وفي حديث آخر قال : لا تأخذنَّ علي حرفًا إلا آية كاملة[2] .

وقال ابن مسعود: الـ حم ديباج القرآن[3]. وقال ابن عباس : إن لكل شيء لبابًا ، ولباب القرآن الـ حم[4] .

وروى المسيَّب بن واضح قال : قلت ليوسف بن أسباط: حدثني أبو عمر الصنعاني حفص بن ميسرة قال : القرآن ألفا ألف حرف وأربعة وعشرون حرفًا ، فمن قرأ القرآن أُعطي بكل حرف زوجة من الحور العين. فقال لي يوسف : وما يعجبك من ذلك ؟! حدثني محمد بن أبان العجلي ، عن عبد الأعلى، عن إبراهيم التيمي، عن عبد الله بن مسعود، قال : من قرأ القرآن أعطي بكل حرف زوجتين من الحور العين .

---

(١) أخرجه ابن منده في كتابه ح٢٧ ص٧٠ ، وفي سنده مبهم .

(٢) ذكره في كتابه « المناظرة » ص٣٩.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣/ ٤١) ص١٣٧ .

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٤١) ص١٣٧ .

ورواه الفروي عن إبراهيم التيمي وزاد فيه،وقال عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول : ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف** »[1] .

وقال يوسف بن أسباط : من قرأ القرآن زوّجه الله بكل حرف منه زوجتين من الحور العين ، وليس الحرف : بسم ولا آلم ، ولكن باء وسين وميم وألف ولام وميم.

وقال الحسن البصري : قرأ القرآن ثلاثة ، فقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده. . .[2] .

وأجمع المسلمون على عدّ سور القرآن وآيه وكلماته وحروفه ، وأجمعوا على أنهم إذا تلوا آية قالوا : قال الله كذا ، وأجمعوا على أن القرآن المفروض قراءته في الصلاة والخطبة هو هذا ، وأجمعوا على أن القرآن الذي هو معجزة النبي ﷺ ووقع به التحدي هو هذا النظم دون غيره ، وأجمعوا على أن في القرآن ناسخًا ومنسوخًا ، ولا يتعلق إلا بهذا النظم ، وأجمعوا على أن الوقوف الموقوفة على قراء القرآن تصرف إلى من قرأ هذا.

---

(١) أخرجه ابن منده في كتابه ح١٩ ص٦١ ، وذكر الأسانيد التي ذكرها المؤلف ، وأما الحديث المرفوع،فتقدم الكلام عليه .

(٢) أخرجه بنحوه ابن المبارك في الزهد ح٧٩٣ ، وعنه : الفريابي في فضائل القرآن ح١٧٧ ص٢٤٧ .

وأجمعوا على أنَّ من جحد سورة من القرآن أو آية أو كلمة أو حرفًا مُتفقًا عليه أنه كافر، وأجمعوا على أن القرآن الذي نهى النبي ﷺ عن السفر به إلى أرض العدو، ومُنع المحدث مسه هو هذا الذي في مصاحفنا ، وأجمعوا على أن القرآن الذي مُنع الجنب والحائض من قراءته هو هذا .

ولما اختلف أهل السنة والمعتزلة في القرآن؛ هل هو مخلوق أو لا[1] ما اختلفوا إلا في هذا؛ فإن من ضرورة الاختلاف الاتفاق على محله وما اعتقدت المعتزلة الخلق إلا في هذا القرآن ، فخالفهم أهل الحق ، وقالوا: هو كلام الله القديم منزل غير مخلوق .

فاتفقت الطائفتان على أنه هو القرآن، فقد ثبت بالأدلة القاطعة اليقينية أن القرآن هو هذا النظم العربي المنزل على رسول الله ﷺ الذي هو مائة وأربع عشرة سورة ، أولها الفاتحة ، وآخرها المعوذتان، وأنه آيات وكلمات وحروف .

فمن قال [بخلافه] فقد قال بخلق القرآن ، ووافق المعتزلة وخالف أهل الحق ، ومن زعم أنه ليس بقرآن فقد كذّب الله تعالى ورسوله وخرق الإجماع ، ومن زعم أنه عمل حروفه فهو تيس ليس معه كلام؛ فإن الكلام إنما هو مع الآدميين ، فلو كان قال: هو قولي، كان

---

(١) انظر المقالات (١/ ٢٦٧) ،وشرح الأصول الخمسة ص٥٢٨ ، والمحيط بالتكليف ص٣٣١، والرد على من أنكر الحرف للسجزي ص١٣٧ .

أقرب؛ فإن الحـروف قول وكلام ، ولكنه أراد أن يجعلها عـملاً حتى يدخل بزعمه في عـموم الآية التي احتجَّ بها ، فجـاء بطامةٍ لم يُسمع بمثلها.

ولو كان كل من تـلى آيةً وروى خبرًا أو أنشـد شعـرًا هو العامل لحروفـه لم يبق لله تعالى كـتاب ، ولا لنبيـه عليه السـلام قول، ولا لشاعر شـعر ، ولا كان ذلك إلا لتاليـه وراويه ومُنشده ، وهذا أظهر فسادًا من أن نتكلَّم عليـه ، على أننا قد دللنا على فساده بما فيـه كفاية إن شاء الله تعالى.

ومن العجب أن هذا الكتاب سماه الله تعـالى وسماه رسوله قرآنًا بقوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿ وَقَالَ الـرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وسمته الجن قرآنًا، ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١]، واتفق المسلمون من الصحـابة ومن بعدهم على تسميتـه قرآنًا، وسماه الذين كفروا به قـرآنًا، فقالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [سبأ: ٣١] وسمته المعـتزلة قرآنًا فخالفوا هؤلاء ؛ ربَّ العـالمين والخَلْقَ أجمعين، وقالوا: ما هذا قرآنًا ، ليردوا على المعتزلة قولهم : القرآن مخلوق ، ثم عادوا فـوافقوهم في خلقه ، فليـتهم صرحوا بأن القـرآن مخلوق وكفوا مـؤنة بدعتهم التي خالفـوا بها ربَّهم ونبيهم ، وخرقـوا إجماع المسلمين .

ونزيد ما ذكرناه وضوحًا وبيانًا بأننا أجمعنا على أن القرآن كلام الله تعالى ، وقد أخبر الله تعالى بذلك بقوله سبحانه : ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال النبي ﷺ: « **فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي** »(١)، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ما هذا كلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله عز وجل (٢) .

وكلام الله تعالى الذي تكلّم به ، والكلام هو الحروف المنظومة والكلمات المفهومة والأصوات المعلومة، والدليل على ذلك من وجهين:

أحدهما: من الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فقول الله تعالى : ﴿**آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم: ١٠، ١١]، وقال لمريم: ﴿**فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**﴾ إلى قوله: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥ - ٢٩]، وقال: ﴿**لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ**

---

(١) سبق تخريجه: ص٣٠.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٤٣) ح ١١٦، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٠٤) ح٢٣٧ ، والبيهقي في الأسماء (١/ ٥٨٥) ح ٥١٠ وغيرهم، وصحّح سنده البيهقي، قال ابن حجر: رجال السند ثقات ، الإصابة (٣/ ٥٤٨) .

مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُون﴾ [المرسلات: ٣٥]، ومعناها واحد، وقال: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥] يعني به النطق، بدليل قوله: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وقال: ﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ [آل عمران: ٤٦] يعني به النطق.

وأما السنة: فقول النبي ﷺ: «**عُفي لأمتي عن الخطأ والنسيان وما حدثت به أنفسها ما لم تكلّم به أو تعمل به**»[1]، وقوله: «**إن صلاتنا هذه لا يصلحُ فيها شيء من كلام الناس**»[2]، وقال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب جريج، والصبي الآخر**»[3]، وقال عليه السلام: «**كُل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف ...**» وذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الطلاق في الإغلاق (٩/ ٣٨٨) ح ٥٢٦٩، ومسلم في كتاب الإيمان (١/ ١١٦).

وفي لفظ: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان**» عند ابن ماجه (١/ ٦٥٩)، وله طرق. انظر: تحفة الطالب لابن كثير ص٢٧١ والمعتبر للزركشي ص١٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، من حديث معاوية بن الحكم، وهو المشهور بحديث الجارية، وهو في دواوين السنة والحديث.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٧٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٤/ ١٩٧٦).

سائر الخبر[1]، وقال : « **من كثر كلامه كثر سقطه**»[2] .

وأما الإجماع : فإن الناس في أشعارهم ومنثور كلامهم وعُرفهم وأحكامهم على أن الكلام النطق ، ولهذا قال قائلهم : « إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب »[3] ، وأشباه هذا كثيرة، وفي الشعر : فما يُكلّم إلا حين يبتسمُ[4] .

وقال هُبيرة :

وإن كلامَ المرءِ في غيرِ كُنهه كنبلٍ تهوي ليسَ فيها نصالُها[5]

ومثل هذا كثير لا ينحصر .

وأجمعوا على أنه لو حلف لا يتكلم لم يحنث إلا أن ينطق، ولو قال: امرأته طالق إن بدأبها بالكلام، لم يتعلق ذلك إلا بالبداية بالنطق[6] .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في الزهد ص٢٣، روي مرفوعًا عند الطبراني في الأوسط ـ كما في مجمع البحرين ـ (٨/ ٢٧٦) ح٥١٠٤ ، وهو ضعيف. انظر تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١١١)، والمقاصد الحسنة ح١١٧١ ص٦٦٧، ضعفه العراقي وغيره .

(٢) روي عن بعض السلف. انظر: الزهد لابن أبي عاصم ح٥٤ ، والحلية (٥/ ١٤٩)، والأمثال لأبي الشيخ (٢٥١).

(٣) ذكره في كتابه «البرهان» عن سليمان بن داود عليه السلام، ص٧٢.

(٤) القائل الفرزدق، وقيل غيره، انظر: ارتشاف الضرب لأبي حيان ٢/ ١٩٣، والحيوان ٣/ ١٣٣، مع الهامش، ومغني اللبيب ١/ ٣٢٠.

(٥) لم أجد له مصدرًا.

(٦) انظر المغني (٨/ ٧٨٨ ـ ٧٨٩) و (٨/ ٨١٨) .

وقــال أهل العــربية: الكــلام من اسمٍ وفعلٍ وحــرفٍ. وقــالوا: الكلام ما أفاد، ولا يكــون إلا من جملةٍ فعلية ومبــتدأية، ولا ينتظم إلا من اسمين، أو اسم وفعل ، أو اسم وحرف في النداء خاصة . ولأن التكليم فعل متعد، يقال: كلمتُ فلانًا كلامًا ، وقد قيل: اشتقاقهُ من الكَلْم وهو الجُرح؛ لأنه يؤثّر في المكلَّم كتأثير الكلم، والمؤثر المتعدّي إنما هو النطق الذي يسمعه المكلَّم فيؤثر فيه تارة خوفًا ، وتارة رجاءً، وتارة ســرورًا ، وتارة حزنًا ،وتارة تكليــفًا، وتارة إسقــاطًا، وأشبــاه هذا.

أما مــا في النفس فلا يتعدى إليــه ولا يُؤثر شيئًا فيــه ، فلا يكون كلامًا ولا تكليمًا.

اعترضوا على هذا من وجوه:

أحدُها : أن الأخطل قال :

إن الكلامَ مــن الفــؤاد وإنما   جُعل اللسانُ على الكلام دليلاً[(١)]

وهذا شاعرٌ نصراني عدوُ الله ورسوله ودينه ، فيجب إطراح كلام الله ورسوله وسائر الخلق تصحيحًا لكلامه وحمل أقوالهم على المجاز صيانة لكلمته هذه عن المجاز !!

---

(١) انظر كلام المؤلــف في كتابه « البــرهان» ص٧٤ . وكثيــرًا ما يورده الأشــاعرة في كتبهم. انظر: الإنصــاف للباقــلاني ص١٦٢، والاقتــصاد في الاعــتقــاد ص٧٥، وغيرها، راجع للزيادة: ابن تيمية وموقفه من الأشاعرة (٣/ ١٢٦٤).

الثـاني : قـالوا: سلّمنا أن كـلام الآدمي صوتٌ وحـرفٌ ، ولكن كلام الله بخلافـه؛ لأنه صفته فلا تـشبه صفات الآدمـيين، ولا كلامُهُ كلامهم.

الثالث: أن مذهبكم في الصفات أن لا تفسر، فكيف فسرتم كلام الله تعالى بما ذكرتم.

الرابع: أن الحروف لا تخرج إلا من مخارج وأدوات ، والصوت لا يكون إلا من جسم ، والله تعالى يتعالى عن هذا .

الخامس: أن الحروف يدخلها التعاقب؛ فالباء تسبق السين، والسين تسبق الميم، وكل مسبوق مخلوق .

السادس: أن هذا يدخله التجزيء والتعداد، والقديم لا يتجزأ ولا يتعدد.

قلنا: الجواب عن الأول : من وجوه :

الأول: يحـتاجـون إلى إثبات هذا الشـعـر ببيـان إسناده ، ونقل الثقـات له ، ولا نقنع بشهرته ، فـقد يشتهـر الفاسد، وقد سـمعت شيخنا أبا محمد بن الخـشّاب إمام أهل العربية في زمانه[1] يقول: قد

(١) ابن الخشاب : عبد الله بن أحمد البغدادي ، قال الذهبي: الشيخ الإمام من يُضرب به المثل في العربية. . ،، مات سنة ٥٦٧ .
انظر: ذيل تاريخ بغداد (١٥/ ٢٠٩) ، السير (٢٠/ ٥٢٣) .

فتشتُ دواوين الأخطل القديمة فلم أجد هذا البيت فيها[1] .

الثاني : لا نُسلّم أن لفظه هكذا ، إنما قال : إن البـيانَ من الفؤاد ، فحرفوه ، وقالوا: الكلام.

الثالث : أن هذا مـجـازٌ أراد به أن الكلام من عـقـلاء الناس في الغالب، إنما يكون بعـد التروي فيه واسـتحضار معـانيه في القلب ، كما قيل : لسان الحكيم من وراء قلبه؛ فإن كان له قال، وإن لم يكن له سكت ، وكلام الجاهل على طرف لسانه .

والدليل على أن هذا مجاز من وجوه كثيرة :

أحدها : مـا ذكرناه ، ومـا تركنا أكـثر مما ذكـرنا مما يدل على أن الكلام هو النطق، وحـمله على حقـيقتـه بحمل كلمـة الأخطل على مجازها أولى من العكس .

الثاني : الحقـيقة يُستـدل عليها بسبـقها إلى الذهن وتبادر الأفـهام إليها، وإنما يفهم من إطلاق الكلام ما ذكرناه .

الثالث : ترتيب الأحكام على ما ذكرنا دون ما ذكروه.

الرابع : قول أهل العربية الذين هم أهل اللسان، وهم أعرف بهذا الشأن .

---

(١) انظر كتابه « البرهان» ص٧٤، وراجع كلام السجزي في كتابه ص٨٢ ـ ٨٣.
وانظر للفـائدة: الإيمان لشـيخ الإسـلام ص١٣٢ ، والفتـاوى (٦/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) ، وشـرح الطحـاوية (١/ ١٩٩)، والعلو برقم (٥٤٩)، وذيل الطبـقـات لابن رجب (٢/ ٥١). كما أنكره ابن فارس اللغوي، كما في الفتاوى (١٦/ ٤٠٤) .

الخامس: الاشتقاق الذي ذكرناه .

السادس: أنه لا تصح إضافة ما ذكروه إلى الله تعالى ، فإنه جعل الكلام في الفؤاد، والله تعالى لا يوصف بذلك، وجعل اللسان دليلاً عليه؛ ولأن الذي عنى الأخطل بالكلام هو التروي والفكر واستحضار المعاني وحديث النفس ووسوستها، فلا يجوز إضافة شيء من ذلك إلى الله تعالى بلا خلاف بين المسلمين .

ومن أعجب الأمور أن خصومنا ردوا على الله وعلى رسوله ، وخالفوا جميع الخلق من المسلمين وغيرهم فراراً من التشبيه على زعمهم ، ثم عادوا إلى تشبيه أقبح وأفحش من كل تشبيه، وهذا نوع من التغفيل، ومن أدلِّ الأشياء على فساد قولهم تركهم قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ وما لا يحصى من الأدلة، وتمسكوا بكلمة قالها الأخطل جعلوها أساس مذهبهم وقاعدة عقدهم، فلو أنها انفردت عن مبطل وخلت عن معارض لما جاز أن يبنى عليها هذا الأصل العظيم، فكيف وقد عارضها ما لا يمكن رده ؟! ، فمثلهم كمثل رجل بنى قصراً على أعواد الكبريت في مجرى السيل .

وأما قولهم : إن كلام الله تعالى يجب أن لا يكون حروفًا لئلا يشبه كلام الآدميين .

قلنا : جوابه من وجوه :

أحدُها : أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن اتفاق

البصـر في إدراك المبصـرات ، والسمع فـي أنه إدراك المسمـوعات ، والعلم في أنه إدراك المعلومات، ليس بتشبيه كذلك هذا[1] .

الثاني: أنه لو كان ذلك تشبيهًا كان تشبيههم أقبح وأفحش على ما ذكرنا .

الثالث: أنهم إن نفوا هـذه الصفة لكون هذا تشـبيـهًا ، ينبغي أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها[2] .

الرابع : أننا نحن لم نفـسر هذا، إنما فسـره الكتاب والسنة كـما تقدم .

وأما قولهم إنكم فسرتم هذه الصفة :

قلنا: إنما لا يجـوز تفـسـيـر المتـشـابه الذي سـكت السلف عن تفسـيره، وليس كـذلك الكلام؛ فإنه من المـعلوم بين الخلق لا شبـهة فيه، وقد فسره الكتاب والسنة .

الثاني: إننا نحن فسرناه بحمله على حقيقته تفسيراً جاء به الكتاب والسنة ، وهم فسروه بما لم يرد به كتاب ولا سنة ولا يوافق الحقيقة ، ولا يجوز نسبته إلى الله تعالى .

وأما قولهم: **إن الحروف تحتاج إلى مخارج وأدوات** [3] .

قلنا: احتياجها إلى ذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام الله ،

---

(١) في (ظ): هنا.

(٢) انظر: الرد للسجزي ص١٨٥ ، والمناظرة للمؤلف ص٤٤ .

(٣) انظر: الرد للسجزي ص١٤٥، ١٥٣ . والبرهان ص٦٠ **وتحريم النظر في كتب الكلام** ص٦٢

تعالى الله عن ذلك ، فإن قالوا : بل يحتاج الله تعالى كحاجتنا قياسًا له علينا ، أخطأوا من وجوه :

أحدُها: أنه يلزمهم في سائر الصفات التي سلموها كالسمع والبصر والعلم والحياة، فلا يكون ذلك في حقنا إلا في جسم، ولا يكون البصر إلا من حدقة، ولا السمع إلا من انخراق، والله تعالى بخلاف ذلك .

الثاني: أن هذا تشبيهٌ لله تعالى بنا ، وقياسٌ له علينا، وهذا كفر.

الثالث: أن بعض المخلوقات لم تحتج إلى مخارج في كلامها ، كالأيدي والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة ، والحجر الذي سلّم على النبي ﷺ [1] ، والحصى الذي سبَّح في كفه[2] ، والذراع المسمومة التي كلّمته[3] ، وقال ابن مسعود : كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل (٤/ ١٧٨٢) ح٢٢٧٧، وأحمد في مسنده (٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥) وغيرهم .

(٢) أخرجه البزار ـ كما في كشف الأستار ـ (٣/ ١٣٥) ح ٢٤١٣، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) ح٣٣٨، ٣٣٩، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٦٤)، واللالكائي(٤/ ٨٠٦)، والأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) ح٣٢، ٣٣، وسنده ضعيف لكن صحَّ من طريق آخر. انظر: هامش محقق كتاب الأصبهاني .

(٣) قصة الشاة التي سُمت للنبي ﷺ في خيبر . انظر: صحيح البخاري (٧/ ٤٩٧)، و(١٠/ ٢٤٥) ، وسنن البيهقي (٨/ ٤٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب المناقب ٦/ ٥٨٧ ح ٣٥٧٩، وانظر الفتح ٦/ ٥٩٢.

ولا خلاف في أن الله تعـالى قادر على إنطاق الحـجر الأصم بلا أدوات، فكيف عجّزوا الله تعالى عن الكلام بلا أدوات؟!

وقولهم: **إن التعاقب يدخل في الحروف .**

قلنا: إنما كـان ذلك في حق من ينطق بالمخـارج والأدوات ، ولا يوصف الله تعالى بذلك .

وقولهم: **إن القديم لا يتجزأ ولا يتعدد** ؛ غير صحيح، فإن أسماء الله معدودة، قـال الله تعـالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال النبي ﷺ : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة** »[١] .

وهي قديمة ، وقد نصَّ الشافعي رحمه الله على أن أسماء الله غير مخلوقة[٢] ، وقال الإمام أحمد : من قـال : إن أسماء الله مخلوقة ، فقد كفر[٣] .

وكذلك كُتُب الله تعـالى ، فإن التوراة والإنجـيل والزبور والقرآن متعددة ،وهي كلام الله غـير مخلوقة، وإنما هذا شيء أخذوه من علم

---

(١) أخرجه البخـاري في كتاب الدعوات (١١/ ٢١٤) ح ٦٤١٠، وفي كتـاب التوحيد (١٣/ ٣٧٧)، وفي غيره، ومسلم في صحيـحه كتاب الذكر (٤/ ٢٠٦٢) ح٥ . وقد أُلف في طرقه مؤلفات وأجزاء .

(٢) أخـرجـه ابن أبي حـاتم في آداب الشـافـعي ١٩٣ ، وعنه : ابـن بطة في الإبانة (١/ ٢٧٤) ح ٤٢ ، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٨) وغيرهم .

(٣) انظر: مسائل أبي داود ص٢٦٢ ، والخلال في السنة جـ٦ / ل١٦٠ .

الكلام، وهو مطرح عند جميع الأئمة الأعلام .

قال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق[1] .

وقال الشافعي رحمه الله : ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح[2] .

وقال أحمد : ما أحبَّ الكلام أحدٌ فكان عاقبته إلى خير[3] .

وقال محمد بن أحمد بن إسحاق بن خُويز منداد المالكي: كُتب البدع عند مالك وسائر أصحابنا هي كتب الكلام والتنجيم ، وشبه ذلك لا تصحُّ إجارتها ولا تُقبل شهادة أهله[4] .

الوجه الثاني : أن الله تعالى كلّم موسى عليه السلام ويكلم المؤمنين يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿ **وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، و ﴿ **قَالَ يَا**

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (١/١٤٧) ح ٣٠٥، وابن عدي في الكامل(٧/٢٦٠٣) ، والسمعاني في أدب الإملاء (١/٣٠٥) ح ١٦٠، وغيرهم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ص١٨٦ ، وعنه: ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص٣٣٥ ، وابن بطة في الإبانة (٢/٥٣٦) ح ٦٦٦ ، وغيرهم .

(٣) انظر: الإبانة (٢/٥٣٨ ـ ٥٣٩) ، والسير (١١/٢١٦ ، ٢٩١) وتاريخ الإسلام ، وفيات ٢٤١ ص٩٠ ـ ٩١ .

(٤) انظر: البرهان ص٥٦ ، وابن خويز منداد : هو محمد بن أحمد بن عبد الله ، أبو عبد الله ، تفقه على الأبهري ، وله كتاب كبير في الخلاف ، قال ابن فرحون: «وكان يُجانب الكلام ، وينافر أهله ؛ حتى يؤدي ذلك إلى منافرة المتكلمين من أهل السنة ، ويحكم على الكلِّ منهم بأنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكحتهم وشهادتهم وإمامتهم وتنافرهم ما قال» .

انظر: الديباج (٢/٢٢٩)، شجرة النور (١/١٠٣).

مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ [مريم: ٥٢]، وقال: ﴿**إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ [النازعات: ١٦].

وأجمعنا على أن موسى سمع كلام الله من الله لا من شجرة ولا من حجر ولا غيره، لأنه لو سمع من غير الله كان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى، لكونهم سمعوا من موسى، فلم سُمي إذًا كليمُ الرحمن ؟!

فإذا ثبت هذا،لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه موسى إلا صوتًا وحرفًا، فإنه لو كان معنىً في النفس وفكرة وروية لم يكن ذلك تكليمًا لموسى ولا موسى يسمع، ولا يتعدّى الفكر، ولا يسمى مناداة.

فإن قالوا : نحن لا نسميه صوتًا مع كونه مسموعًا .

قلنا: الجواب من وجوه :

أحدُها : أن هذا مخالفةٌ في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فإننا لا نعني بالصوت إلا ما كان مسموعًا .

الثاني : أن لفظ الصوت قد جاءت به الأخبار والآثار ، فإن في قصة موسى عليه السلام : « **أنه لما رأى النار هالته وفزع منها ، فناداه ربه : يا موسى ، فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت ، فقال : لبيك لبيك ، أسمع صوتك ولا أرى مكانك ، فأين أنت ؟ ، قال : أنا فوقك وأمامك ووراءك وعن يمينك وعن شمالك ـ فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله**

تعالى ـ قال : فكذلك أنت يا إلهي، فكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال : بل كلامي يا موسى[1]».

وقال بنو إسرائيل لموسى : بم شبَّهت صوتك ربك؟ قال : إنه لا شِبه له »[2] .

وروي أن موسى عليه السلام لما سمع كلام الآدميين مقتهم لما وقر في مسامعه من كلام الله تعالى[3] .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء**»[4] وروي ذلك موقوفًا على ابن مسعود[5] .

---

(١) ذكره المؤلف في كتابه « المناظرة » ص٤٣، وأخرجه أحمد في كتابه « الزهد » ص ٦١ ـ٦٢ عن وهب وعزاه ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٢٨٥) إلى عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب الفسوي . وانظر: تأويل مختلف الحديث ٢٧٥ ، والرد للسجزي ص١٦٣، وبنحوه في السنة لعبد الله (١/ ٢٨٤) ح ٥٤٥.

(٢) روي بلفظ آخر عند عبد الله في السنة (١/ ٢٨٤) ح ٥٤٢ ، والآجري في الشريعة ص٣٢٧، ولفظه: « ... **بما شبهت صوت ربك عز وجل حين كلمك من هذا الخلق؟ قال : شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجع** » ، وفي سنده أبو نجيح ضعيف ، ومتنه غريب.

(٣) ذكره المؤلف في كتابه « المناظرة » ص٤٣ ، وفي سنده جويبر: هالك.

(٤) أخرجه البخاري في خلق الأفعال ح٤٦٥ ص١٥١، والدارمي في الرد على الجهمية ح ٣٠٨ ص١٤٧، وأبو داود في سننه (٥/ ١٠٥) ح ٤٧٣٨، وغيرهم .

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٨١) ح ٥٣٧، ٥٣٨، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٠) ح ٢٠٧ ـ ٢١١ ، وغيرهم، ورجح الدارقطني في العلل وقفه (٥/ ٢٤٣) .

وروي عن عبد الله بن أحمد قال : سألت أبي فقلت: يا أبه إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت ، فقال : كذبُوا، إنما يدورون على التعطيل، ثم قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال: حدثني الأعمش،عن أبي الضُحى،عن مسروق، عن عبد الله ابن مسعود ، قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء[1] قال السجزي : وما في رواة هذا الخبر إلا إمام مقبول[2] .

وحديث عبد الله بن أُنيس : « **إن الله تعالى يجمع الخلائق في صعيد واحد ، ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب : أنا الملك أنا الديان** »[3] .

وإذا كان حقيقة التكليم والمناداة شيئًا واحدًا وتواردت الأخبار والآثار به ، فما إنكارهُ إلا عنادٌ واتباع للهوى المردي وصُدوفٌ عن الحق وترك للصراط المستقيم ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) السنة لعبد الله (١/ ٢٨١) وعنه : النجاد ص٣١ ـ ٣٢ .

(٢) الرد على من أنكر الحرف للسجزي ص١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٣) أخرجه البخاري في خلق الأفعال ص١٤٩ ح ٤٦٣، وفي كتابه الأدب (٢/ ٤٣٣) ح ٩٧٠، وعلقه في صحيحه (١/ ١٧٣، ١٣/ ٤٥٣) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٥) ح ٥١٤ ، والحاكم (٢/ ٤٣٧) ، و(٤/ ٧٤) وغيرهم ، وصححه ، كما قواه ابن القيم ، وابن حجر.
انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٤١٩)، والفتح (١/ ١٧٤)، وله طرق ، وألف الحافظ ابن ناصر فيه جزءًا،وهو الحديث الذي رحل إليه جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وأما استدلاله على خلق الحروف بقوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] **والحروف شيء .**

قلنا: هذه شبهة المعتزلة في أن القرآن مخلوق ، ونحن وأنتم قد اتفقنا على أن القرآن غيرُ مخلوق وهو حروف ، فيلزم[1] أن لا تكون مخلوقة، على أن هذه الآية لابد من تخصيصها بأن الله تعالى وصفاته ليس شيء منها مخلوقًا، وكلام الله صفة من صفاته ،وهو حروف وأصوات بما بيناه، وكذلك قوله : ﴿**خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩] يخرج منه القرآن وكل كلام لله تعالى من التوراة والإنجيل وغيرهما ، وهي حروف على ما قدمنا .

واستدلاله بـ «**إن الله خلق كل صانع وصنعته**»[2] يريد به أن الحروف صنعته، وهذا سفهٌ قد تقدم الجواب عنه .

وقول الله تعالى : ﴿**لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**﴾ [البقرة: ٧٩] لا دلالة فيه ، فإن اليد مخلوقة ، والمكتوب بها من كلام الله غير مخلوق، فإن الله تعالى أخبر أن القرآن العظيم الكريم في كتاب مكنون، فقال : ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، فالقرآن غير مخلوق.

وقال النبي ﷺ: « **لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن**

---

(١) في (ق): فلزم.

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ح١١٧ ص٣٩ ـ ٤٠ ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٨) ، واللالكائي (٣/ ٥٣٨) ، والبيهقي في الأسماء (١/ ٧٤)ح ٣٧، وصححه الهيثمي في المجمع (٧/ ١٩٧) ، وابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٩٨) .

تناله أيديهم »[1] يريد المصاحف التي فيها القرآن، وقال الله تعالى : ﴿**لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة: ٧٩].

ولو كان ما فيه مخلوقًا لما مُنع المحدث مسه ، ولا حنث الحالف به ولا وجبت الكفارة على الحانث الحالف به ؛ فإنه لا تجبُ الكفارة بالحلف بمخلوق .

وما ذُكر من الأخبار الدالة على نسبة الصوت إلى القارئ، فليس هذا محل النزاع، إنما النزاع في أن الله تعالى تكلم بحرفٍ وصوت أم لا؟

ومذهب أهل السنة اتّباع ما ورد في الكتاب والسنة ، وقد بيّنا بالأدلة القاطعة أن هذا القرآن الذي عندنا هو كلام الله ، وأنه مسموعٌ مقروء متلوٌ محفوظ مكتوب ، وكيف ما قرئ وتلي وسمع وحفظ فهو القرآن القديم ، وقد ذكرنا الآيات والأخبار الدالة على أنه مسموع مكتوب متلو محفوظ.

وأما قوله عليه السلام : «**إن الله قال: وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء**»[2]، فمعناه ـ والله أعلم ـ أن الماء لا يغسله بالكلية؛ فإنه لو غُسل من مصحف لم يُغسل من بقية المصاحف ، ولو غسل من جميعها لم يغسل من صدور الرجال، ولا يزال باقيًا في الأرض في صدور الرجال ومصاحفهم حتى تقوم الساعة ، ويذهب الخلق

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد ٦/ ١٣٣، ومسلم في كتاب الإمارة ٣/ ١٤٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة (٤/٢١٩٧) ح٦٣ ، وأحمد في مسنده (٤/١٦٢) ضمن حديث طويل عن عياض بن حمار رضي الله عنه .

والملائكة ولا يبقى إلا الله الواحد القهار[1] .

ويُحتمل أن هذا معنى قول السلف رحمة الله عليهم في القرآن : «منه بدأ وإليه يعود»[2]؛ أي أنه بدأ من الله تعالى بإنزاله على نبيه عليه السلام ، ثم يعود إليه بذهابه من الأرض لذهاب حملته وحفاظه ، وقد رُوِّينا في حديث : « **أنه يرفع من صدور الرجال ومن المصاحف قبل قيام الساعة** »[3] والله أعلم .

وقد ثبت بما ذكرناه من الأدلة القاطعة اليقينية من الكتاب والسنة والإجماع أن القرآن هو هذا الكتاب العربي، الذي هو سورٌ وآيات وحروف وكلمات ، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين ، وأنه قرآن كريم في كتاب مكنون ، وقرآن مجيد في لوح محفوظ .

فمهما جاء من الأخبار يجب تفسيره بما يوافق ذلك ، ولا يجوز حمله على خلافه ؛ لأن ما خالف الأدلة القاطعة كان باطلاً في نفسه، وكلام النبي ﷺ لا يجوز بطلان شيء منه ؛ لأنه معصوم من قول الباطل فتعين[4] ما ذكرناه فيه .

---

(١) انظر : شرح مسلم (١٧/ ١٩٨).

(٢) قالها جمع من الأئمة: منهم عمرو بن دينار المكي ، وقد أدرك جمعًا من الصحابة منهم : عبد الله بن عمر، وابن عباس ، وابن الزبير وغيرهم .

انظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٥)، واللالكائي (٢/ ٢٣٤)، والحجة للأصبهاني (١/ ٣٣٦)، كتاب الضياء «اختصاص القرآن » ص ٢٠ ، الدرء (٢/ ١١٣) ، الفتاوى (٣/ ١٧٤) ـ مناظرة الواسطية ـ و(١٢/ ٤٠ ، ٢٧٤، ٢٩٧ ، ٥١٧، ٥٦١)، والعلو (٢/ ٧٧٣) بتحقيقي.

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن ٢/ ١٣٤٤ بنحوه والحاكم ٤/ ٤٧٣ وصححه البوصيري في الزوائد والحاكم، وقواه ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٦ وانظر هامش كتاب الضياء ص ٣٤.

(٤) في (ق): فتيقن.

ومن حمل شيئًا من أحاديث النبي ﷺ على مَحْمل يُخالف ذلك كان بمنزلة الزنادقة الذين يستدلون على فساد دين الإسلام بعمومات أو احتمالات في آيات وأحاديث ، ومثل هذا لا يلتفت إليه ولا يعول عليه .

وقد بلغني عن بعض متخذلقيهم أنه قال : ﴿الٓمٓ﴾ ليست حروفًا ، إنما هي أسماء الحروف ، فألفٌ اسم للألف، ولامٌ اسم لها، وكذلك ميمٌ ، فخالف بهذا القول رسول الله ﷺ ، فإنه سماها حروفًا ، وكذلك أصحابه وسائر الناس، فإنهم يسمونها حروفًا ويقولون: الحروف المقطعة في أوائل السور .

وقد روي عن الشعبي أنه قال : إن لله في كل كتاب سرًا ، وسره في القرآن الحروف المقطعة في أوائل السور . وروي نحو هذا عن أبي بكر الصديق[(١)] رضي الله عنه .

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال : هي أسماء الله تعالى ، لو أحسن العباد توصيلها [(٢)] ، ألا ترى أن الرّحم ن هي الرّحمن .

ثم إن هذا القول لا ينفي كونها حروفًا ، وإنما أسماء الحروف حروف ؛ فاسم الألف ثلاثة أحرف: ألف ولام وفاء ، واسم اللام

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١/ ١٥٤) ، وابن كثير (١/ ٣٦)، وانظر الدر المنثور (١/ ٢٢)، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم أقف عليه .

(٢) لم أقف على قول سعيد بن جبير ، وروي عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم (١/ ٢٧)، والبيهقي في الأسماء (١/ ٢٣٠)، وانظر الدر المنثور (١/ ٢٢).

ثلاثة ، واسم الميم ثلاثة ؛ فيكون ذلك تسعة أحرف ، فكأنه قال: إنها ليست ثلاثة أحرف إنما هي تسعة أحرف، والخلاف في كونها حروفًا لا في عددها، وقد ثبت أنها حروف ، فلا يضر الخلاف في عددها . « ولا فائدة في النزاع بعد الاتفاق على المقصود»[1] .

جاء في آخر نسخة القدس: والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي نسخة الظاهرية: والحمد لله رب العالمين ثبتنا الله على صراطه المستقيم واتباع نبيه سيد المرسلين وسلوك منهج السلف الصالحين رحمة الله عليهم أجمعين.

غفر الله لكاتبه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولمحمد وآله.

* * *

(١) من (ظ).

الفهرس